وليلة، كل ليلة وليلة»، ولكن أكثر ما أحب صوت الممثلة وهي تبدأ المسلسل بعبارة: «بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد»، أو تعلّق الحكاية في نهاية الحلقة بـ «هنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح» متبوعة بصياح الديك. يصعب عليّ الآن وصف الصوت لأنه يختلط بوقعه في نفسي، يجمع بين المدهش والأليف، والغامض والواضح. وكانت مخارج ألفاظ شهرزاد دار الإذاعة المصرية واضحة، وصوتها عاليا وعميقا يملأ رنينه البيت، رغم مكانها الملتبس في خيالي، لا أعرف شكل المرأة، لم أره ولا أراه، أقنع بالصوت وخيال موزع بين صندوق خشبي موصول بسلك إلى مصدر للكهرباء في الحائط، وحجرة ما في مبنى الإذاعة القريب من بيتنا، وامرأة تسحب الملك وتسحبني إلى أزمنة بعيدة وأماكن يسكنها ملوك وجان، وصيادون وخبازون وتجار، وصبايا كالحوريات، وعجائز يُدَبِّرْن شرا، وأمراء تحولوا إلى تماثيل، وأحصنة تطير، وغزالة ليست غزالة، وأسماك ليست في حقيقة الأمر أسماكا. تحكي المرأة فأتجمد أمام المذياع ورهبة الممكن والمستحيل، بوابة كبيرة مشرعة تهبط عليّ سحرا وأنا في أمان البيت بين أبي وأمي وإخوتي، في شقة أصعد إليها بمصعد أو عبر سلم مرورا ببواب معيّن، في عمارة معيّنة مماثلة لمئات العمارات المجاورة، لا أختي ستتحول إلى غزالة، ولا المدرس الذي أكرهه سيُسخط قردا، ولن أستيقظ ذات صباح لأكتشف أن لأخي جناحين وأنه يحط بيننا حين يشاء، وحين يشاء يطير.

لا أريد أن أستدرج فيما لا داعي له من تفاصيل، أردت الكتابة عن المذياع؛ لأنه في ذلك العام الدراسي الغريب الذي انقضى معظمه معلقا بين المظاهرات وإغلاق المدارس إلى أجل غير مسمى، يسمّونه بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاثة، صار أساسيا يحدد جدول أعمال اليوم، وكذلك أحلام النوم وكوابيسه. أصبح ذلك المذياع الخشبي، زر تشغيله، الموسيقى التي تسبق نشرة الأخبار، صوت المذيع وإنصاتي، رغم بقايا نعاس في عيني أو بوادر إغفاء، بمثابة قوسين يضمان مجريات النهار والليل، يوما بعد يوم.